

تعليمية الفلسفة للأطفال في تطوير التفكير الإبداعي

عند لييمان

*The Importance of Teaching Philosophy to Children in
Developing Creative Thinking According to Lipman*

مخبر الدراسات والأبحاث الفلسفية

جامعة سيدي بلعباس – (الجزائر)

مخبر الدراسات والأبحاث الفلسفية

جامعة سيدي بلعباس – (الجزائر)

فلسفة

فلسفة

بلال سفيان* Belalsoufiane

mgsoufiane5@gmail.com

مروفل كلثوم MroufelKeltoum

keltoumou@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/12/15

تاريخ الإرسال: 2024/02/05

ملخص:

إن الفلسفة في سعيها لمواجهة تحديات العصر، وما فرضته التطورات العلمية والتقنية على كل المستويات، خاصة ما يتعلق بالطفل في الجانب التربوي والتعليمي، حيث أن موضوع تعليم الفلسفة للصغار يعتبر أحد أهم المجالات الفكرية التي أصبحت موضوع بحث جدي عند العديد من الفلاسفة والمختصين في التربية والبيداغوجيا، خاصة الكيفية أو الآلية التي تتناسب مع سن الطفل وقدراته الاستيعابية، فالطفل يتميز بالفضول والدهشة التي تجعله دائما يتساءل ويبحث عن إجابات، هذا ما جعل من الفلسفة تهتم بهذا الموضوع محاولة العمل على تطوير وتنمية التفكير الإبداعي عند الأطفال، خاصة أنه يطرح أسئلة وجودية في بعض الأحيان تكون محرجة وفي أحيان أخرى تكون مقلقة يصعب الإجابة عنها، هذا ما جعل الفلسفة تعتمد على الورشات كطريقة لتعلم الحوار والتفكير والنقد والحرية في التعبير عن الآراء، محاولة جعل الطفل فيلسوفا صغيرا.

الكلمات المفتاحية: فلسفة الأطفال؛ التفلسف؛ البيداغوجيا؛ التفكير؛ ماثيو لييمان.

: Abstract

In its pursuit to address the challenges of the modern era and the demands imposed by scientific and technological advancements at all levels, especially concerning children in the educational and pedagogical aspects, the topic of teaching philosophy to young children has become one of the most significant intellectual fields that many philosophers and education specialists are seriously researching. This is particularly true regarding the methods or mechanisms that are suitable for the child's age and cognitive abilities. Children are

* المؤلف المراسل: mgsoufiane5@gmail.com

characterized by curiosity and wonder, which constantly lead them to ask questions and seek answers. This has prompted philosophy to focus on this subject, attempting to develop and enhance creative thinking in children. Often, children pose existential questions that can be embarrassing or concerning and difficult to answer. Consequently, philosophy has adopted workshops as a method for learning dialogue, critical thinking, and freedom of expression, aiming to make the child a young philosopher.

Keywords: children's philosophy; philosophizing; pedagogy; thinking; Matthew Lipman.

1. مقدمة:

إن المتأمل في تاريخ الفلسفة سيرى بأنها مجال معرفي يجمع كل العلوم، وميزتها تكمن في بحثها الشامل حول القضايا التي تطرحها هذه العلوم، وكل هذا من أجل الوصول إلى حقائق يقينية ورؤية خالية من الغموض والالتباس، وللفلسفة أيضاً جانباً مهماً خاصاً بالتدريس من أجل تحقيق النمو الفكري والمعرفي في عملية التربية والتعليم، فهي تعتبر نمطاً فكرياً متميزاً من حيث المواضيع التي تطرحها وتعالجها، وتعددت المجالات التي اهتمت بها الفلسفة عبر العصور، ومن بينها موضوع تعليم الفلسفة للأطفال الذي أصبح محل اهتمام العديد من الدول في العالم والكثير من الفلاسفة والمفكرين، فالواقع أصبح يفرض ذلك بسبب ما فرضه التطور العلمي والتكنولوجي على كل مجالات الحياة، فأصبح من الضروري إعادة النظر في الأساليب والمناهج التعليمية، مما جعل الفلسفة تجعل من هذا الموضوع حقلاً للبحث مستندة في ذلك على محاولة تطبيق عبارة "الفلسفة للجميع"، من خلال العمل على إيجاد مناهج وآليات تتناسب مع سن الطفل الذي يكون فيه قادراً على التفكير والتفلسف، وسنحاول في هذا المقال تحديد أهم الطرق المتبعة في هذا المجال خاصة منهج الأستاذ والفيلسوف الأمريكي "ماثيو ليبمان" الذي يعتبر أول من وضع أسس تدريس الفلسفة للأطفال، وعلى الرغم أنها تبدو للعديد من المفكرين والأخصائيين في مجال التعليم على أنها معقدة كمادة تعليمية للصغار، إلى أن الفلسفة لها دور كبير في تطوير وتنمية القدرات الفكرية والإبداعية عند الأطفال، ومن أهم التساؤلات المطروحة حول هذا المجال الفلسفي الجديد: هل الطفل في حاجة إلى تعلم التفلسف؟ وكيف يمكن للفلسفة أن تطوّر من القدرات الفكرية والذهنية عند الأطفال؟ وماهي الأساليب والآليات التي اعتمد عليها ليبمان في تعليم الفلسفة للأطفال؟.

2. التأسيس النظري لإشكالية تعليم الفلسفة للأطفال:

يعتبر موضوع تعليم الفلسفة للأطفال من أكثر المواضيع التي أثارت الغموض والاستغراب، لأنها خاصة بفئات عمرية يسهل التأثير عليها، ولذلك يحتاج إلى التفكير في الآليات والأساليب التي تتناسب مع سن الطفل ومع قدراته الذهنية والعقلية، خاصة أن الفضول عند الطفل لطرح الأسئلة والرغبة في البحث عن المعرفة يظهر عنده في سن مبكرة "فهو في الكثير من الأحيان يطرح أسئلة صعبة حول الوجود أو الموت والحقيقة والكذب والسعادة والحزن ويحاول أن يفرق بين ما هو صحيح أو خاطئ، وهذا الشغف في طرح الأسئلة يبدأ في سنواته الأولى، وهو في حاجة لإجابات مقنعة قد تكون صعبة أحيانا، لأنها قد تحمل نوعا من الخجل حسب نوعية الأسئلة، أو قد تكون تحمل العديد من الدلالات قد تؤثر على تفكير الطفل" (إسماعيل، وآخ، 2012، ص84). لكن هذا الفضول في البحث عن حقيقة الأمور والبحث عن المعرفة، هو ما يجعل الطفل قادرا على التفلسف وعلى إنتاج معارف فكرية من خلال تعلم التفكير والممارسات الفلسفية، وهذا ما يجعل موضوع تعليم الفلسفة للأطفال أحد أهم المجالات الفكرية، التي أثارت الاستغراب والفضول عند العديد من المفكرين والأخصائيين في مجال البيداغوجيا عبر تاريخ الفلسفة، من خلال العديد من البحوث النفسية والفلسفية، خاصة عن الآلية والطرق المنهجية والديالكتيكية في عملية التعلم التي يجب أن تكون مناسبة لسن الطفل، فالأشياء التي يتلقاها الطفل في سنواته الأولى، هي من تترك له أثرا في تكوين سلوكياته وشخصيته.

إن الحديث عن تعليم الفلسفة للأطفال، يقتضي علينا بالضرورة أن نتحدث عن إشكالية حقوق الطفل، "خاصة أحقيته في تنظيم فكر مستقل وذاتي، والمدرسة هي من تساعده على ذلك، وقد أعلن عن حقه في ذلك من خلال حقوق الطفل المعلنة سنة 1989 والتي تعطيه الحق في التعبير بحرية عن آرائه" (مالك، ب، 2016، 95). بمعنى أن للطفل الحق في ممارسة عملية التفلسف ودراسة الفلسفة، لأن هذا التعليم الذي يقوم على تعليم الفلسفة للأطفال مكن لحد بعيد من إيجاد حلول للعديد من الإشكاليات التي طرحت حول قدرة الطفل الفكرية، وعالجت العديد من المواضيع التي يتعرض لها في فترات نموه، وهذا الغموض حول إمكانية تعليم الفلسفة للصغار، جعل العديد من المفكرين والفلاسفة وأخصائيين في مجال التربية والتعليم يهتمون بهذا المجال، محاولين الوصول إلى منهج أو آلية للتمكن من اعتمادها في عملية تعليم الفلسفة للأطفال.

لقد أصبح العالم يشهد إقبالا واهتماما كبيرا بمسألة تعليم الفلسفة للأطفال ليلبي حاجة أساسية في تنشئة الطفل، "وهذا الاهتمام ينطلق من خلال إثارة فكر الطفل ومعرفة قدراته وإمكانياته، وبدأت النشاطات الفلسفية مع الصغار على مستوى الرّوضات والمرحلتين الابتدائية والمتوسطة تتطوّر، وأثارت اهتمام العديد من الدول وأصبحت حاضرة بقوة خاصة في أمريكا وأوروبا وأستراليا وآسيا" (مالك، ب، 2016، 95). على هذا الأساس والاهتمام الكبير لإمكانية تدريس الفلسفة للأطفال نصل الى أنهم في حاجة الى عملية التفلسف، لأنها تثير فكره وتمنحه القدرة على الاستقلالية في التفكير والتعبير عن آرائه وذلك للخروج من هيمنة البرامج التعليمية القديمة التي أصبحت في حاجة إلى التجديد لتلبي حاجيات العصر خاصة بعد التطور التكنولوجي المخيف وتأثيراته على الإنسان عامة وعلى قدرات الطفل والأخذ بعين الاعتبار أننا نتعامل مع أطفال في سن مبكر، لهم القدرة على التفكير والابداع وهم في حاجة إلى الآلية أو المنهجية الصحيحة التي تساعد على تحقيق الهدف التعليمي القائم على أساس تنمية القدرات الفكرية والعرفية.

يمكننا القول بأن الهدف من تدريس الفلسفة للصغار، هو تعليمهم الفكر الأخلاقي، لأنهم في هذا السن المبكر يبحثون عن مبررات لأفعالهم، ويحبّون معرفة الأسباب التي تسمح لهم بالقيام بأمر معين أو تمنعهم من ذلك، وهذا ما يجعلهم في الغالب يطرحون أسئلة مثل: "لماذا هذا؟" أو "لماذا لا ينبغي علي أن أفعل هذا؟"، هذا النوع من الأسئلة دائما ما تحيّر عقولهم الصغيرة، وهي تتكرر باستمرار في كل فعل يقومون به حيث يطرحون أسئلة تحير حتى الكبار، ولكن هذا الفعل يعتبر مفيدا لهم وللمجتمع بشكل كبير (Munroe, 1847, 4). يدل هذا العمل على أهمية تعليم الفلسفة الأخلاقية للأطفال لأنه أمر مفيد لهم كونه يقربهم من المجتمع أكثر، لأنهم يتمتعون بالفضول لمعرفة الأسباب التي تجعل من الأفعال خيرا أو شرا حسب نظرة المجتمع، بحيث يتمكنون من التفكير فيها وذلك لمحاولة معرفة الأسباب والمبررات من خلال نظرة نقدية تساعد على بناء شخصية قوية.

في بداية الأمر سيعتقد الكثير أن إشكالية تعليم الفلسفة للأطفال هي بنفس طريقة تدريسها للطلبة، من خلال تعليمهم المدارس والمذاهب الفلسفية والنظريات التقليدية، لكن إذا تعمقنا في هذا الفكر الجديد سنلاحظ غير ذلك، ولقد اهتم المفكرون والفلاسفة في تدريس الأطفال على منحهم القدرة على التفلسف، وذلك بالاعتماد على ممارسات

فلسفية مغايرة لتلك المعتمد عليها في الدراسات العليا، من خلال الاعتماد على وضع برامج خاصة لمرحلة ما قبل الكلية وهي تعمل على تحقيق أربعة أهداف: "تنمية المهارات والميول المعرفية Cognitive tendencies، وفهم الاستقصاء وتطوير استراتيجيات الاستقصاء Investigatiostrategies، وتطوير المهارات الحوارية Conversational skills، وتطوير الاهتمام بالمحتوى الفلسفي. (Gina, M, 2013, 19)" من الواضح أنه إن تمكن الطفل من اكتساب هذه المهارات، سيحقق الهدف الأساسي من تدريس الفلسفة للصغار وهو تطوير المجال الفكري للطفل في سياق التفلسف وتنمية مهاراته المعرفية والحوارية التي تعتبر من أهم الخطوات في عملية التعليم، خاصة أن هذه الخطوة يمكنها أن تشجع الطفل على التفكير النقدي والتفكير المستقل والإبداعي، وهذا ما يعطي ل P4C أهمية كبيرة واستحقاقا في البرامج التعليمية، لأن الاعتماد عليها يطور من المهارات التفكيرية بحيث يقدم أفكارا شمولية وصحيحة، ولقد كانت هذه الفكرة محل اهتمام وقبول الآلاف من المعلمين والمختصين يأملون نجاح هذا المشروع، الذي يسعى: "لأن تصبح الفلسفة للأطفال مقبولة في جميع أنحاء العالم، باعتبارها طريقة تعليمية من شأنها أن تبني عالما أفضل وأكثر عقلانية ليعيش فيه أطفالنا بحرية وسعادة". (Sutcliffe, 2011, 143) ومن خلال ذلك نستطيع أن نقول بأن ليبمان حاول أن يجعل من الفلسفة استثمارا ومشروعاً لتطوير وتنمية التفكير عند الأطفال، خاصة ما يتعلق بالاهتمام بالمهارات التي يمكن أن يكتسبها الطفل من خلال الممارسات الفلسفية.

3. الفلسفة والطفل بين الممكن والمستحيل:

تشير نظرية التطور المعرفي لعالم النفس والفيلسوف السويسري جان بياجيه Jean W (1896- 1980) (Piaget)، "أنه قبل سن الحادية عشر والثانية عشر يكون معظم الأطفال غير قادرين على التفكير الفلسفي وعلى معرفة المفاهيم الفلسفية، وذلك نظرا لعدم بلوغ الطفل مرحلة تمكنه من استيعاب الاشكاليات الفلسفية واستنباط الأحكام حولها، ولا يستطيعون التفكير حول التفكير، وهذا النوع أرقى أنواع التفكير انه التفكير الفلسفي" (Michael Pritchard, 2022)، لكن على الرغم من ذلك أثبتت دراسات من علماء النفس والبيداغوجيا أن بياجيه قلل من قدرات الطفل التفكيرية، حيث توصلت البحوث في هذا المجال أن الطفل يتطور إدراكه في سنواته الأولى، وهذا ما يسمح له بالتكيف مع مجتمعه، فبحسب نتائج هذه الدراسات فإن الطفل في هذه السنوات المبكرة يكون واعيا

بالأشياء التي تجري من حوله.

لكن الفيلسوف الأمريكي غراثماتثيوز (1929-2011) Gareth Matthews، وهو من أحد أهم المختصين في فلسفة الطفل، وألف في ذلك كتابا هاما بعنوان "فلسفة الطفولة Philosophy of Childhood" سنة 1994، "يرى عكس ما جاء به بياجيه من خلال نظريته، بحيث قطع ماثيوز شوطا بعيدا لأنه يظن بأن بياجيه عجز على أن يرى التفكير الظاهر عند كل طفل" (معاذ، ب، 2011، 44). فبالنظر الى الأسئلة التي يطرحها الأطفال في غالب الأحيان نلاحظ أنهم يحاولون البحث عن إجابات لتشبع فضولهم الفطري، هذا ما أكد عليه ليبمان من قبل أن الأطفال يمتلكون القدرة على الحوار، وعلى طرح الأسئلة الفلسفية والعلمية، وفي ذلك يقول ليبمان " الفلسفة هي تدريب على التفكير النقدي المنفتح Open critical thinking وهي تصحيح ذاتي يعتمد على البحث عن الحقيقة، التي يعترف بها الجميع في النهاية، فالطفل قادر على التفلسف من خلال أهمية أسئلته وتأملاته" (Lipman, M, 2009, 22)، هذا ما يؤكد على أن للطفل القدرة على التفلسف في سن مبكرة كونه يتأمل ويراقب مصدر المعرفة ويقوم بتنظيمها حسب قيمتها، ولذلك يجب الاهتمام بأسئلة الأطفال ومحاولة دراستها بطريقة فلسفية.

لقد لاحظ الفيلسوف كارل ياسيرز (1883-1969) Karl Jaspers، "أن للأطفال القدرة على طرح الأسئلة الفلسفية في المراحل الأولى من عمرهم، لكن سرعان ما تختفي هذه الدهشة المولدة للتساؤل ويفقد هذه الرغبة في البحث عن حقيقة موضوعات العالم الذي يدركه، هذا ما جعل ياسيرز يتساءل: لماذا لا يتم استثمار هذا الفضول المعرفي التلقائي عند الطفل وتشجيعه على التساؤل ومنحه الحق في التفكير" (بن زينب شريف، 2023، 140). فالطفل في سنواته الأولى باستطاعته طرح أسئلة فلسفية، وهذا ما يؤكد قدرته على التفلسف، وهذا ما يدعو للبحث عن إجابة فلسفية واجتماعية ونفسية من أجل تحديد العلاقة بين سن التفلسف والطفل، هذا ما يقتضي الاعتماد على أبحاث تطبيقية ومواقف فلسفية وسيكولوجية، التي توصلت بعد هذه الدراسات المكثفة والتطبيقية، بأن للطفل القدرة والإمكانية على التفلسف والتمكن من طرح الأفكار العلمية والمعرفية وهذا ما يجعله فيلسوفا صغيرا.

أكد الفيلسوف الأمريكي داريلشيبارد Darrell Shepard الذي كان رئيسا لمجلس إدارة لجنة الجمعية الفلسفية الأمريكية المختصة في تدريس الفلسفة لما قبل الكلية، في مقال

نشره سنة 2017 بعنوان "لماذا الفلسفة للأطفال؟" Whyphilosophy for children؟، " بأن الأطفال فلاسفيون بالفطرة وأن السبب في تراجع المستوى العلمي والفكري عند الأطفال بسبب المناهج التي يتم الاعتماد عليها في عملية التدريس، وأن لكل طفل أفكاره وذكرياته الخاصة، ويكون دور الفلسفة حاضرا من خلال جعل كل الأطفال يتشاركون أفكارهم مع بعضهم البعض من أجل تكوين صداقات والاحترام المتبادل، ويكون ذلك من خلال الاعتماد على الحوار، هذا ما يخلق بيئة تعليمية مثالية حيث يشارك الجميع بطريقة متساوية (Darell Shepard, 2017, 13). هذا ما يؤكد على أن تراجع مستوى التفكير عند الصغار سببه وجود تدهور في دور المناهج والآليات المعتمدة في عملية التدريس، مما يدعو إلى محاولة إيجاد طرق أخرى تكون أكثر فاعلية تعتمد على العملية التشاركية والمساوات بين الجميع.

4. مشروع تعليمية الفلسفة للأطفال "lapc"

تعتبر طريقة الفيلسوف الأمريكي ماتيو ليبمان Matthew Lipman (1922-2010) في محاولته لجعل الفلسفة مشروعا ناجحا لتطوير التفكير عند الأطفال أحد أهم البرامج التي حققت نتائج مرضية تحاكي الحياة اليومية من مشكلات وقضايا وتصورات، ولقد تمكن من إنشاء وتطبيق أحد أهم المشاريع التعليمية حيث قام بإنشاء سنة 1974 بنيويورك معهد النهوض بالفلسفة للأطفال "lapc"، وذلك من أجل تدريس الفلسفة للأطفال، وانطلقت بوادر تطبيق هذه الفكرة على الواقع من خلال رؤيته "وانتقاده للأساليب المتبعة في برامج التربية الأمريكية، حيث توصل إلى أنها تواجه مشكلة مع ضعف في تفكير الطفل، وذلك من خلال المواد التي تقدم في المرحلة الابتدائية لأنها حسب رأيه لا تستطيع أن تتمكن من تنمية التفكير عند الطفل، لأنها لا تساعد على تعلم المواضيع من خلال التفكير في التفكير في حد ذاته "thinking about thinking" (سعاد، 2004، 118). أي أنه يمكننا القول بأن الأساس الذي تبنى عليه فلسفة الأطفال، هو قطيعة مع التقاليد والأحكام المسبقة، فالطفل حسب العديد من المفكرين هو فيلسوف بطبعه لأنه فضولي وغالبا ما يطرح أسئلة صحيحة، يريد أن يفهم، ولذلك يجب الاهتمام بهذا الفضول ومحاولة الاستفادة منه بطريقة إيجابية لتطوير التفكير عند الطفل وقدراته الذهنية، ولا يجب أن نقوم بقمعه في مرحلة البلوغ بإسم المفهوم النظري للنضج، والمخاطرة بإطفاء الرغبة والإرادة التي تدفعه للتعلم والإبداع.

لقد كان ليبمان مهتمًا برؤية العديد من طلابه على أنهم "منتجات ناجحة لهم نظام تعليمي يفتقر إلى القدرة على التعبير عن أفكارهم أو العطاء وهذا دليل على افتقارهم للحكم النقدي، يسألون دائما "لماذا هذا"، بينما أطفال من أربعة إلى خمسة وستة سنوات مليئة بالفضول والإبداع ولا تتوقف أبدًا عن طلب المزيد من التفسيرات" (Fisher, 1996, 40)). وهذا ما يعني بأن الأطفال يملكون الشيء الأهم في عملية المعرفة والتعلم وهو الفضول الذي ينجم عن القلق والدهشة، وهو الدافع لمعرفة الحقائق والإجابات عن العديد من الأسئلة الغامضة لدى الأطفال، فهم لا يتوقفون عن طلب المزيد وطرح الأسئلة التي تعتبر مبدأً أساسيًا في عملية التفلسف، حيث تعتبر الفلسفة فنًا لطرح الأسئلة، لكن بحلول الوقت الذي يبلغون فيه سن الثامنة عشرة حسب تعبيره، "يكونون سلبين وغير ناقدين ومملين ورافضين للتعلم، وتساءل عما إذا كان من المفترض أن يكون التعليم موضوعًا لتعليم الشباب التفكير، لماذا ينتج هذا العدد الكبير من الأشخاص غير المفكرين؟" (Fisher, 1996, 40). والملاحظ أن هذا الشغف والفضول مع الوقت ينتهي خاصة مع الفئات العمرية ما فوق سن 18 ولذلك أصبح النظام البيداغوجي التقليدي غير قادر على إنتاج أشخاص مفكرين، وبحسب ليبمان أصبح من الضروري إيجاد آلية جديدة لتطوير قدرات الطلبة التفكيرية مستقبلاً، ولذلك وجه اهتمامه بعالم الأطفال.

ويمكن القول بأن لدى ليبمان "وجهة نظر تحويلية للتعليم، تؤمن بأن الأطفال يمكن أن يتحولوا بواسطتها للأفضل، وللقيام بهذا التعليم يجب أن نهتم بالتفكير وليس معرفة الأولويات التوجيهية في المواضيع التقليدية، ويعتقد ليبمان أنه سيحدث التحول من خلال تعليم التفكير" (سعاد، 110). يتضح لنا من خلال ما سبق بأن فلسفة الطفل PHilosophy for children أو ما يطلق عليها اختصاراً بـ P4C، أو تعليم الفلسفة للأطفال، بأنها عبارة عن برامج هدفها الأساسي الاهتمام بقدرات الطفل التفكيرية ومساعدته على تعلم النقد والحرية في التعبير لتعلم فنّيات الحوار والنقاش، بمعنى أن الاهتمام بالطفل وكيفية تعليمه من خلال الفلسفة، هو مجال له قيمة كبيرة لأنّ طفل اليوم هو رجل الغد، وتعتبر مرحلة الطفولة هي مرحلة بداية الإنسان، فالسنوات الأولى هي التي من خلالها تتكون شخصيته، ولذلك يعتبر التعليم الابتدائي الركيزة الأولى التي تبنى من خلاله شخصية الفرد مستقبلاً، مع الأخذ بعين الاعتبار أن إهمال الاهتمام بالطفل في مراحله الأولى قد تؤثر على قدراته الفكرية والمعرفية ووجوده الفعلي في المجتمع لذلك يجب الاهتمام به وبطريقة

تفكيره، لذلك كانت دعوة ليبمان تنادي بضرورة تغيير المناهج المعتمدة في المنظومة التعليمية لأنها تقليدية ولم تعد تلي حاجيات التعليم والتربية الأساسية، هذا ما يؤكد أن للمؤسسة التعليمية دوراً وأهمية كبيرة في كيفية تنشئة الطفل بشكل صحيح، لأنها من تصنع أجيال المستقبل، ولقد وضع ذلك ليبمان في كتابه (المدرسة وتربية التفكير 1998 Thinking In Education) من خلال قوله: "أن مجتمعنا خاضع لسيطرة ثلاث مؤسسات الأسرة والدولة والمؤسسة التعليمية، وتعد الأخيرة الأكثر أهمية كونها تجمع بينهم، وفي ذلك: تعد المدرسة من نواح معينة أهمها إطلاقاً لأنه من خلالها تحاول الأجيال الماضية والأجيال الحاضرة أن تضع بصمتها على المستقبل" (ليبمان، م، 1998، 15). هذا ما يؤكد على أن المؤسسات التعليمية تحمل أهمية كبيرة في التأثير على تفكير الأطفال ومساعدتهم على اكتساب المعرفة وتمكنهم من فهم العالم من حولهم، والتمكن من التفكير، فمن خلالها يتمكن الطلاب بمختلف الفئات العمرية من معرفة أسرار العلم واكتساب المعرفة، ولذلك من الضروري هيكلة نظام تعليمي خارج الصّراعات السياسية والأيدولوجية، لأن المدرسة حسب (ليبمان) من خلال برامجها التقليدية تخدم أحياناً التوجّهات السياسية لأنه من خلالها تتمكن في التأثير على أجيال كاملة، لتحقيق أهداف أيديولوجية مستقبلاً، وفي ذلك يؤكد ليبمان من خلال قوله: "أنه يجب أن تكون المؤسسة التعليمية محافظة ونزيهة، لأنها ممثلة لجميع الطوائف الاجتماعية ولا تخدم أي توجه" (ليبمان، 1998، 16).

تم تصميم برنامج P4C كقصص ذات طابع فلسفي لتحفيز عملية المناقشة، باعتبار القصص صديقة للأطفال باستخدام أسماء الأطفال مثل Elfie و Kio و Gus و Pixie و Harry و Lisa و Suki وما إلى ذلك، سيقراً الطالب أو المعلم بعض أجزاء القصص وسيطلب من الطالب إبداء رأيه في القصة، واستناداً إلى ليبمان "فإن المناقشة ستكون أفضل وسيلة لممارسة التفكير النقدي بالمقارنة مع نظام التعليم الموجود مسبقاً، كما ذكر أن النظام التقليدي لم يكن قادراً على تحفيز الأطفال على التفكير، وخلق حكم شخصي والحصول على وجهة نظرهم الخاصة، والفخر بأنفسهم للقيام بذلك. ومن أجل أن يصبح شخصاً بالغاً، يجب أن يصبح طفلاً متأملاً" (Damar Prasetya, 2020, 110). كانت البداية من خلال روايته (اكتشاف هاري ستوتلماير Harry Stottlmeir Discover) حيث بدأ بتدريسها مرتين في الأسبوع وفي كل حصة مدة أربعين دقيقة فأصبح الأمر ملفتاً للنظر خاصة وأن الأطفال اكتسبوا مهارة الاستدلال المنطقي وكان الأستاذ يلعب دوراً مهماً في إدارة

الحوار والنقاشات حول الأسئلة التي يطرحها الأطفال حول الروايات، مستندا في ذلك على طريقة سقراط التي يؤسس من خلالها الأفكار باستخدام الحوار على شكل منهج يمارس من خلاله فعل التفلسف، معتمدا في ذلك على ورشات فلسفية أو كما يسميها (جماعة البحث)، وهذه الطريقة تتم من خلال مشاركة الجميع المعلم والأطفال حيث يجلسون على شكل حلقة مستديرة ويقرأون جزءا من رواية ما، وهنا تبدأ المناقشة من خلال طرح الأسئلة ومحاولة إيجاد إجابات مقنعة مع الاعتماد على النقد) جميلة حنفي، 2016، (195).

ويتكون برنامج تدريس الفلسفة للأطفال الذي وضعه ليبمان على مجموعة من القصص الفلسفية التي تتلاءم مع المراحل العمرية المختلفة، مع دليل خاص بالمعلم يساعده على مناقشة محتوى القصة باستخدام الاستقصاء الفلسفي «قصة كيو جاس» (Kio and Gus (1981) للتلاميذ في مرحلة الطفولة من (7 الى 8 سنوات)، لتزويدهم بالمهارات اللازمة لممارسة البحث والتفكير.

أما قصة "بيكسي": هي خاصة بالأطفال (8 الى 10 سنوات)، تركز على وعي الأطفال بالعلاقات المنطقية والاجتماعية والأسرية والسببية والرياضية وأساليب التعامل مع هذه العلاقات.

وأما قصة "هاري" (Harry) 1974): فهي خاصة بالصف الخامس والسادس ابتدائي، وهي تثير قضايا فكرية وفلسفية، وتدور أحداثها بين مجموعة من التلاميذ حيث يفكرون في تفكيرهم (التفكير في التفكير)، ومن خلال هذه الطريقة يكتشفون قوانين التفكير، وأن بمقدورهم تطبيق أنماط التفكير التي توصلوا إليها في مواقف الحياة الحقيقية بكفاءة وفاعلية.

قصة "ليزا" (Liza) (1977): خاصة بالصف السابع والثامن، يلعب أدوارها الأساسية نفس شخصيات القصة الأولى، ونظرا لأن أبطال القصة الجديدة انتقلوا إلى صف دراسي أعلى فلقد أصبحوا مهئين للانتقال إلى مناطق فلسفية جديدة، للبحث عن حلول للمشكلات الحقيقية التي تؤرق أذهانهم، مستخدمين في ذلك أدوات التفكير المنطقي التي سبق وأن تعلموها.

قصة "سوكي" (Suki) (1978): خصصت هذه القصة لتلاميذ الفرقة التاسعة والعاشر من المدرسة الأساسية، وتدور هذه القصة حول قضايا الأدب والفن.

قصة "مارك" (1978) (Mark): خصصت هذه القصة إلى طلاب الفرقة النهائية من المرحلة الثانوية، حيث يواجه التلاميذ المشكلات المرتبطة بالمجتمع الإنساني «(النشار، 2018، 299، 300). ويتضح لنا من خلال البرنامج الذي قدمه ليبمان على شكل قصص، أنها على علاقة بالحياة اليومية، تحاكي الواقع من قضايا ومشكلات، وهي تحاكي مختلف الفئات العمرية في مراحل النمو في الجانب الفكري والأدبي والفني، ويفهم من خلال مجموعة القصص التي قدمها ليبمان لمختلف أعمار الطلاب منذ بداية نمو الطفل إلى المرحلة النهائية من التعليم الأساسي، ولقد جعل من قصة علاقة بمستوى الوعي عند الأطفال من أجل التأثير على شخصيتهم وتطوير قدرتهم الفكرية، مع مراعات قدراتهم الذهنية والعقلية التي من خلالها تتضح معالم الإبداع سواء من الجانب الفني أو الأدبي.

لقد كانت محاولة ليبمان من خلال الاعتماد على القصص الفلسفية جعلها منهجا يدرس القضايا التي تواجه الطفل، ويتم عرضها عليهم ووضعها محل المناقشة والمسائلة، وبعدها محاولة الوصول إلى نتيجة ترضي فضول الطفل، من خلال العمل على تطوير فكره العقلاني والإبداعي، وهذا كله من أجل بناء شخصية قوية للطفل لتمكينه من تقبل أفكار الآخرين، وتعليمه روح المسؤولية والحوار والنقاش وصناعة فرد صالح في المجتمع مستقبلا. ركز ليبمان على الروايات ذات الطابع الفلسفي والكتب المصورة كمنهج لتدريس الأطفال باعتبارها أحد أهم الوسائل التعليمية التي تعتبر نقطة بداية المناقشة الفلسفية، وقدم في ذلك مجموعة من الخطوات المعتمدة في منهجه: البداية تكون بالاعتماد على "طرح الأسئلة ويكون المعلم مشاركا ضمن بيئة التدريس والتعلم، بدلا من دور الميسر، والتحذير على عدم اتباع النموذج التقليدي الذي يجعل من المعلم مستبدا كأنه من يملك السلطة، تشجيع الأطفال على التناوب عند الرد على الكلمات والصور، بحيث الاعتماد على المشاركة الجماعية تجعلهم يتلقون الدروس بنشاط وحيوية، والحرص على معاملة الآخرين باحترام وتنمية مهارات الاستماع الجيدة، ويكون ذلك من خلال مساعدتهم على تعلم تحمل المسؤولية عن متى يجب التصرف أو متى لا يتصرفون فيما يتعلق ببعض الأمور والمواقف" (Linda scott, 2018).

لقد قدم عالم الاجتماع والمفكر والإعلامي الفرنسي فريدريك لونوار Fredericlenoir في كتابه (التفلسف والتأمل مع الأطفال)، وحاول في هذا العمل عرض مشروعه حول تدريس الفلسفة للأطفال، من خلال ثلاثة خطوات: ممارسة الانتباه، ممارسة التفلسف، أوراش

فلسفية، حيث راهن على تنظيم الورشات لوحده، ويقوم بدعوة الأطفال ومطالبتهم بعدم التفكير في أي شيء لمدة خمس دقائق، حتى يحصل التلاميذ على انتباه أكثر، وبعدها يستطيعون التركيز وتناول المواضيع الفلسفية، من خلال الاعتماد على القصص والكتب الورقية والصوتية، ولقد وضع لونوار حول هذا المشروع مجموعة من القواعد وسمّاها ب"القواعد المؤسسة والتوصيات العشرة"، وهي كالتالي:

- توفير مكان ملائم للقيام بالورشات من أجل تبسيط وتسهيل الحوار بين الأطفال.

- مساءلة آراء الأطفال بخصوص الفلسفة مثال: ما معنى الفلسفة؟ وما فائدتها؟...

- اختيار مواضيع محفزة على النقاش والحوار.

- فتح المجال للأطفال ليطرحوا عدد كبير من الآراء.

- توضيح المفاهيم لتبسيط الموضوع الذي يدور حوله النقاش.

- تفادي طرح إجابات صارمة ونتيجتها تكون نهائية.

- الاعتماد على أجوبة الأطفال المشاركين من أجل البناء لنقاشات جديدة.

- إعادة تأطير النقاش عندما تحدث تناقضات بين الأطفال المناقشين.

- إعطاء الكلمة للأطفال الذين لا يتحدثون كثيرا.

وفي الأخير الاحتفاظ بنسخة ورقية تجمع النقاشات التي تم طرحها في الورشات الفلسفية (منتصر حمادة، 2019).

و كذلك نجد الأستاذ جو روهيل Joe Ruhl وهو أستاذ ومختص في البحث عن البرامج المثالية لتعليم الأطفال، حيث قدم مجموعة من النصائح في كيفية التعامل مع الأطفال ولعل أهمها: "منح الطفل الحرية في الاختيار داخل الورشات والحرص التعليمية، ويكون ذلك من خلال تطبيق ما يسميه ب مبادئ C الأربعة، التعاون collaboration، التواصل communication، التفكير الناقد criticalThinking، الإبداع creativity، ولقد قامت الرابطة الوطنية للتعليم بالولايات المتحدة الأمريكية بتحديد هذه المبادئ الأربعة كمهارات أساسية يجب على الأطفال تعلمها في القرن 21 " (Joe Rohl 2015)، وذلك لأن التعلم سيحقق أهدافه عندما يتاح لهؤلاء الأطفال التفاعل مع هذه المبادئ الأربعة، وليس في التعلم فقط لكن التلاميذ حسب جو روهيل سيستمتعون بنظام الفصل هذا وبالطريقة المعتمدة في تقديم الدروس مما يجعلهم يتأثرون أكثر بمحتوى الدروس، ويجعلهم مندمجين أكثر في عملية النقاش والحوار حول الاشكاليات ومحاولة التفاعل الجدي معها.

خاتمة:

في الختام يمكننا القول بأن الحديث عن الأطفال يجعلنا نتحدث عن أكثر مراحل الإنسان غموضاً، وهي المرحلة التي يبدأ من خلالها تكوين شخصية الطفل، وهذا ما يدعوا بالضرورة للاهتمام بها ومحاولة فهمها ومعرفة كل ما يحيط بها، ولذلك كان الهدف من تعليم الفلسفة للأطفال منحه القدرة على التفلسف والتفكير الحر والسليم، حيث نزرع فيه روح المشاركة وتقبل آراء الآخرين، وكيفية الدفاع عن أفكاره من خلال تقديمه للحجج معتمداً في ذلك على الحوار والمناقشة، فالأطفال يطرحون الأسئلة فطرياً وقد تكون في غالب الأحيان غامضة، لكنه يحتاج الى إجابة عنها ليشبع فضوله، ولذلك يجب استغلال هذا الفضول ومحفته لطرح الأسئلة لصالحه.

لذلك يمكننا القول بأن الهدف من تعليم الفلسفة للأطفال هو اكتشاف الجانب الجمالي والإبداعي عند الأطفال، حيث أن الأبحاث في هذا المجال والنتائج التي توصل اليها المفكرون والأخصائيون في هذا المج حول هذا الموضوع أسقطت الفكرة القائلة بأن الطفل غير قادر على التمييز بين الأفكار ولا يمكنه أن يفكر ويقدم أفكاراً سليمة، وهذه الأفكار لا تؤمن بقدرات الطفل ولا تثق فيه، وهذا ما يجعلنا نقول بأن تعليم الفلسفة للأطفال يساعدنا على بناء شخصية الطفل وبناء فرد صالح مستقبلاً وواعي وله دور فعال في المجتمع هذا ما جعل العديد من الفلاسفة والمفكرين يهتمون بشكل أكبر وجدي بإمكانية مساعدة الطفل على التفلسف من أجل تحقيق الهدف الرئيسي وهو تكوين شخصية قوية للأطفال.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إسماعيل، وآخ، (2012). تدريس الفلسفة للأطفال: الصعوبات والرهانات، مجلة علوم التربية، (53)، 82-93.
2. بن زينب، شريف، الفلسفة والطفل أو الروح السقراطية المبكرة، مجلة التدوين، (01)، 140-152.
3. بني عامر، معاذ. (2021). الإنسان الفيلسوف، عن أسئلة وإجابات الحكماء، الأردن، عن وزارة الثقافة.
4. بيار، مالك. (2016). الفلسفة وتعليمها، بيروت، دار النهضة العربية.
5. حنيفي، جميلة. (2016). الفلسفة في المنهج التعليمي حديث مع ماثيو ليمان، مجلة تطوير، (03)، 195-203.
6. سعاد، محمد فتحي محمود. (2004). اتجاهات حديثة في تطوير مناهج الفلسفة وتدريس الفلسفة للأطفال، القاهرة، ابتراك للنشر والتوزيع.
7. ماثيو، ليمان. (1998). المدرسة وتربية الفكر، ترجمة الدكتور إبراهيم يحيى الشهابي، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.
8. مصطفى، النشار. (2018). الفلسفة التطبيقية وتطوير الدرس الفلسفي العربي، مصر، روابط للنشر والتوزيع.
9. Prasetya, D. (2020). Philosophy Education for Children, journal filsafat Indonesia, Jakarta, Indonesia 3,108-114. Retrived from <https://www.researchgate.net/publication/348251183>
10. Darrell R,Shepard,(1977). why philosoepy for children ?, journal Education considerations, wasrbum university, 2,12-13. Retrivedfrom<https://newprairiepress.org/cgi/viewcontent.cgi?>

11. James, M. (1847). Children and families, moral philosophy, Boston.
12. Matthew, L. (2009).recherche Social, P.I.E. Peter Langs, traduction et adaptation,. Nicole Descorstre, Bruxelles.
13. Monica, G. (2013). philosophy for, with, and of children, united kingdom, cambridge schoolars.
14. Robert, F. (1996). Philosophy For Children, School of Education , Brunel Uneversity.
15. Roger, H, S, (2011). Thinking skills and creativity, journal home, united kingdom,6,143-145. Retrived from <https://www.sciencedirect.com/journal/thinking-skills-and-creativity>
16. Philosophy for children, Retrived mai 2022, <https://plato.stanford.edu/entries/children/>
17. Scott, L. (2018).:Sneetches, Picture storybookcharacters as your teachers. Retrivedfrom, <https://www.researchgate.net/publication/341932234>
18. حمادة، م. (2019). فريديريك لونوار والتفلسف مع الأطفال، أنظر الموقع التالي: <https://aldar.ma/68940.html>
19. Joe, Ruhl.(2015, Mai 27). Teaching Methods for Inspiring the Students of futur [video file]. Retrived from, <https://www.youtube.com/watch?v=UCFg9bcW7Bk&t=327s>.